رغم ذلك لم تتوقف محاولات البناء والكفاح في الداخل.

إن انتقال البندقية الفلسطينية إلى لبنان، بما يشبه قاعدة ارتكاز، قد حافظ على الإسقاطات التحريضية على الداخل، وحرب ٨٢ واقتلاع معظم البندقية وتشتيتها، والاقتتال الفلسطيني - الفلسطيني في البقاع والبداوي... وزيارة عرفات للقاهرة وما نتج عنها من تباينات فلسطينية، لم يحل دون صعود الجبهة في الوطن المحتل وتحولها لقوة بارزة، ولم يكسر هاماتها الهجمة المسعورة عام ٨٥ واعتقال المئات. فالصمود القيادي في الزنازين، استمراراً للنجاح في عملية البناء، صان التجربة.

وعليه، يجوز القول إن العامل الذاتي، وفي المقدمة القيادي، قد نجح في الميدان والزنازين على حدٍ سواء، رغم مجافاة الظرف الموضوعي مستفيداً من تجارب الجبهة السابقة.

ومتن الدراسة يستند إلى ما يكفي من معطيات وأرقام تكشف بجلاء دينامية الجبهة في الأرض المحتلة، واحرازها المزيد من التراكمات عشية الانتفاضة الكانونية والقفزات في سنواتها، رغم الزلزال الذي اكتسح الاتحاد السوفييتي وأفضى لتفكيك سبيكة الدولة وارتداد نظامها، ورغم انعقاد مدريد، إذ استمرت الجبهة قوة منظمة منتفضة، من أعلى إلى أدنى، إلى أن جاءت الاعتقالات القيادية، التي نتج عنها فيما نتج، تقهقر الشرط القيادي الذي بات لا يقوى على حمل جسم كبير، سيما أن ظاهرة المستخفين المحترفين الثوريين لم تتواصل، وهي الركن الركين في بناء وجود الجبهة وحماية شرطها القيادي وما يضطلع به من دور، «فالقيادة السرية التي يعجز الاحتلال عن اعتقالها سواء عاشت الاستخفاء أو لا يطالها سيف الاعتقال هي الشرط الأول لسنوات التركيم والنجاح» كما لخّص مفصل تنظيمي، فتوالدت بيئة تفاقمت فيها عوامل الأزمة الداخلية التي تنامت طرداً مع ترسخ مرحلة أوسلو.

وهذا الاستخلاص يزكي ما ذهب إليه الدكتور جورج حبش (علينا أن نرى التناقضات الداخلية، قبل أن نرى العوامل الخارجية، هذا قانون في التناقضات) «أزمة الثورة الفلسطينية ٨٣/١/٢١»، وكلمات ماو (إن جيشين يلتحمان في معركة فينتصر أحدهما وينهزم الآخر لأسباب باطنية، أحدهما ينتصر بسبب قوته وبسبب قيادته الصحيحة، وينهزم الآخر بسبب ضعفه وأخطاء قيادته، فالأسباب الخارجية تفعل فعلها عن طريق الأسباب الباطنية).

واستطراداً يمكن التذكير، وحسب، بصمود التجربة الكوبية بقيادة فيدل، التي خرجت من